جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

من شعر الفيس بوك في ضوء النقد الأدبي
(قصيدة حريق محطة مصر
للدكتور حسان الشناوي نموذجا)

إعداد

د/ محمود صبحي سيد أحمد شاهين
الأستاذ المساعد بكلية الآداب جامعة الجوف بالمملكة العربية السعودية
وأستاذ الأدب والنقد المساعد في كلية اللغة العربية\ جامعة الأزهر بجمهورية مصر العربية (فرع المنوفية)

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثاني .. مايو)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

من شعر الفيس بوك في ضوء النقد الأدبي (قصيدة حريق محطة مصر للدكتور حسان الشناوي نموذجا)

محمود صبحي سيد أحمد شاهين

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الجوف، السعودية.

قسم الأدب والنقد، كلية اللغة العربية بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: mahmoudshaien.lan@azhar.edu.eg

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على قصيدة حريق محطة مصر للدكتور حسان الشناوي، بالتحليل والنقد، وهي قصيدة تم نشرها على الفيس بوك، ذلك الفضاء الأزرق الذي ينشر عليه الكثيرون من المبدعين أعمالهم الإبداعية في الوقت الذي أضحي فيه نشر الأعمال ورقيا مما يكلف صاحبه ما لا يستطيعه ماديا ومعنويا، فكان التواصل الاجتماعي عبر منصات الفيس بوك أملا مودودا لكل من يريد أن يروج بضاعته، فبمجرد أن ينشر مبدع عملا إلا صار ذائعا من خلال المشاركات التي يشاركها الأصدقاء بسرعة وسهولة من ناحية، وهذا بدوره يصادف أكثرية من القراء في شتى بقاع العالم يتناولون ما يتم نشره بالنقد والتقويم من ناحية أخرى، ومن هنا نستطيع الحكم بأن قراء الفيس بوك إيجابيون بما يحملونه من معرفة بعلم الحاسوب والتقنيات الإلكترونية الحديثة، ومن ثم لم يكن الأدب العربي بمعزل عن تفاعل المتلقي معه، ولا عن توظيف الأدوات والتقنيات التي تكفل أعلى مستوى من هذا التفاعل، وقد لفت نظري أني وجدت بعض الجامعات اليوم قد أضافت منشورات الفيس البوك إلى مقرراتها الدراسية، ومن ثم لا غرابة أن يكون البحث متعلقا بتلك النافذة الإلكترونية على الإطلاق ما دامت منشوراته معتمدة ضمن المقررات الدراسية التي تدرس بالجامعات.

الكلمات المفتاحية: حسان الشناوي، الحريق، محطة مصر، الفيس بوك، التواصل الاجتماعي، الأدب الرقمي.

The poem Misr Station Fire by Dr. Hassan El-Shennawy is an example.

Mahmoud Subhy Sayed Ahmed Shahin
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Jouf University, Saudi Arabia.
Department of Literature and criticism, Faculty of Arabic Language, Al-Azhar University, Egypt.
Email: mahmoudshaien.lan@azhar.edu.eg

Abstract:
This study aims to shed light on the poem The Fire at Misr Station by Dr. Hassan Al-Shennawy through analysis and critique. The poem was published on Facebook, the vast blue space where many creative individuals share their literary works, especially in an era when publishing in print has become financially and morally burdensome. Consequently, social media platforms like Facebook have become a promising avenue for those who wish to promote their work, As soon as a creator publishes a piece, it quickly gains traction through shares by friends, making it widely known with ease and speed. This, in turn, reaches a large and diverse readership across the world, who engage with the content through critique and evaluation. Hence, we can conclude that Facebook readers are active participants, equipped with knowledge of computing and modern electronic technologies. As a result, Arabic literature has not remained isolated from audience interaction, nor from the use of tools and techniques that ensure the highest level of engagement. It caught my attention that I found some universities today have added Facebook posts to their curricula, and therefore it is not surprising that the research is related to that electronic window at all, as long as its posts are approved within the curricula taught at universities.

Keywords: Hassan El-Shenawy، The Fire، Misr Station، Facebook، Social Media، Digital Literature.

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد، صلى الله عليه وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فهذا البحث عبارة عن ممارسة نقدية لتجربة إبداعية شعرية دبجتها يراعة الدكتور حسان الشناوي عبر الفضاء الأزرق، أو ما يسمى "الفيس البوك" تلك المنصة التي أضحت ملاذا لكثير من الأدباء أن ينشروا عليها ما راق لهم من تجارب أدبية، شعرية أو نثرية، أملا منهم أن تصادف أهل الذائقة وأرباب البصر بالنقد فيعملوا فيها أقلامهم استحسانا أو استهجانا.

ولا نجانف الصواب إذا قلنا إن عوالم النهضة الرقمية، ومواقع التواصل الاجتماعي، أتاحت الكثير من سمات عصرنة الوجدانيات، وطرحها في قوالب إلكترونية متسارعة ومتقاذفة في الوقت الذي أصبحت فيه تكلفة طباعة كتاب أو بحث تكلف صاحبه شططا أو رهقا من أمره، ماديا كان أو معنويا، ونرجو أن لا يفهم هذا الكلام على أنه تحيز للفيس بوك أو أنني بذلك أحدث جفوة أو قطيعة بين الأدبين الرقمي والورقي، فكلاهما متعايش في استمرارية، ماض لطيته، لكنَّ للأدب الرقمي الآن هيمنة وسلطانا في مختلف السوح؛ لانفتاحيته وسرعة نشره وسهولته، هذا إلى جانب رحابته التي تتجلى تفاعل القراء مع النص في مختلف الأزمنة والأمكنة، ومن ثم أصبح الفيس بوك نافذة تهوي إليها أفئدة كثير من الناس كتابة وقراءة وسماعا، وقد حققت الثمرة المرجوة في نشر ما لم تنهض كثير من المطابع ودور النشر بطبعه.

وقد لفت نظري أني وجدت بعض الجامعات اليوم قد أضافت منشورات الفيس البوك إلى مقرراتها الدراسية[1] ومن ثم لا غرابة أن يكون البحث متعلقا

(١) مثل جامعة Salford البريطانية التي بدأت برنامجاً لدرجة ماجستير في وسائط التواصل =

بتلك النافذة الإلكترونية على الإطلاق ما دامت منشوراته معتمدة ضمن المقررات الدراسية التي تدرس بالجامعات، هذا إلى جانب أن الفيس بوك أصبح اليوم جزءا من الحركة الأدبية والنقدية.

وعلى الرغم من أنني لست من أصحاب الحضور الطاغي على مواقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك"، تحركت نفسي لمتابعة ذلك الحدث الذي آلمني وأنا في أرض الحرمين الشريفين، فذهبت نفسي إزاءه حسرات، ذلك الحدث الذي آلمني وآلم كل مصري يعيش على ثراها أو مغتربا مثلي ومثل الشاعر، هو حريق محطة مصر" الذي وقع في صباح يوم ٢٠١٩/٢/٢٧م. وهو حدث أدمى قلوبنا وفتَّ في أعضادنا، ومن الذي يستطيع أن يقوى وهو يرى جزءا من أرض وطنه تشب فيه النيران؟! اللهم إلا إذا كان قلبه قُدَّ من صخر، أو أنه لا يهمه وطنه بكل ما يجري عليه من فرح أو ترح.

وشاعرنا الدكتور حسان الشناوي واحد من أولئك الذين ألهبهم الحدث فراح يتفجر أسى، ويتنزى ألما وموجدة؛ فجادت قريحته بقصيدة دبجتها يراعته في الأول من مارس في العام نفسه، ونشرها على صفحته "فيس بول" المسماة (حسان محمد الشناوي (د. حسان الشناوي) وهذا رابط الصفحة:
https://www.facebook.com/share/18cq8W1GDD/

=

الاجتماعي منذ عام ألفين وتسعة، بهدف تكوين جيل من المفكرين وخبراء العلاقات العامة. وكذلك جامعة دلهي الهندية إضافة مادة "كتابة منشورات فيسبوك" إلى مقرراتها للغة الإنجليزية.

ينظر: (https://www.bbc.com/arabic/tv-and-radio-40034235)

ولكوني أنا الآخر ممن تصدع قلبهم لذلك الحدث، كانت إطلالتي النقدية على هذه القصيدة، بكل حياد وموضوعية، فإن كنت قد وفقت فالفضل لله وحده، وإن الأخرى فحسبي أنني بلغت بنفسي عذرها، "وَمُبْلِغُ نَفْسٍ عُذْرَهَا مِثْلُ مُنْجِحِ"

الشاعر سيرة ومسيرة

الدكتور/ حسان محمد الشناوي أبو طالب[١]

شاعرنا عالم أزهري أكاديمي ضالع يشهد له الجميع بالعلم في تخصصه، فهو لا يعد محسوبا على اللغويين أو الأدباء فحسب، بل لا نكون مغالين أو مبالغين إذا قلنا إنه موسوعة ثقافية في شتى فروع الثقافة على انديا‌حها واتساعها، أو مكتبة متنقلة تحمل من الكتب ما لذ وطاب في شتى أنواع المعارف. يشهد بذلك كل من عرفه أو خالطه أو جلس بين يديه متعلما– وكان لي شرف ذلك– فبعد أن ولد في قرية ريفية "كفر طبلوها مركز تلا محافظة المنوفية بمصر، في٢٣ من أغسطس، عام ١٩٥٩م، درج على أرضها وتنسم عبق هوائها، وقد حرص والده أن يوجهه وجهة دينية، فعهد به إلى من يحفظه كتاب الله في صغره، فأدخله كتاب القرية حتى حفظه واستظهره وهو ابن العاشرة، على يد الشيخ عبد الباسط يونس رحمه الله تعالى، ثم التحق بالأزهر عام ١٩٧٣م.

–حصل على الثانوية الأزهرية عام ١٩٨٠م، محققا المركز الرابع على مستوى الجمهورية في القسم الأدبي.

–تخرج في كلية اللغة العربية عام ١٩٨٤م، بتقدير مع مرتبة الشرف، وكان أول أوائل كليات اللغة العربية في جامعة الأزهر.

–حصل على الماجستير عام ١٩٩٠م، بتقدير ممتاز عن موضوع: (الجانب الإسلامي في شعر محمود حسن إسماعيل) من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر بالقاهرة.

(١) السيرة الذاتية كتبها الشاعر، وأمدني بها، لكني مهدت لها تمهيدا يسيرا.

-حصل على الدكتوراه، عام ١٩٩٥م، بمرتبة الشرف الأولى عن موضوع: (اتجاهات الشعر العربي في العصر الحديث من منظور المثل الأعلى لفن الشعر) من كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية

-عمل مدرسا بالأجر في مدارس وزارة التربية.

-عُيِّنَ معيدا، فمدرسا مساعدا، ثم مدرسا في قسم الأدب والنقد بكلية اللغة العربية فرع جامعة الأزهر بشبين الكوم.

-أعير إلى العمل في وزارة التعليم العالي بدولة الكويت عام ٢٠٠٠م، ومازال بها حتى اليوم.

له دراسات بعضها مطبوع؛ منها:

-الحس النقدي عند محمود غنيم

-صفحات من الأدب العربي الحديث

-من أيام العرب في الجاهلية: يوم البسوس – يوم داحس والغبراء.

-بين الاستنان بالعروض والافتنان في القريض: مدارسات وممارسات.

-صفحات من تاريخ الأدب العربي الحديث.

من الأنشطة:

-عضو في أصدقاء المكتبة العامة بشبين الكوم.

-عضو في جماعة أصدقاء النيل التابعة للهيئة العامة للاستعلامات فرع المنوفية بشبين الكوم.

-درس النحو والصرف في معهد إعداد الدعاة، بمسجد الأنصاري في شبين الكوم.

-انتدب محاضرا في جولات الهيئة العامة للاستعلامات بقرى محافظة المنوفية، مشاركا بعض أساتذة جامعتي المنوفية وطنطا.

–مارس الخطابة قرابة خمسة وعشرين عاما: في مسجد الجمعية الشرعية بزرقان، وفي أحد المساجد الأهلية بمنطقة الدمرداش بالقاهرة، وفي مسجد الظنيني بشبين الكوم، وغيرها.

–كان محكَّما في مسابقة محمود غنيم الشعرية التي أقامها عدة أعوام قصر ثقافة شبين الكوم.

–درّس اللغة العربية لطلاب كلية أصول الدين في شبين الكوم، أربعة أعوام.

– ناب – في بعض الأعوام – عن الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي رحمه الله في تدريس مادة التفسير لطلاب كليتي أصول الدين بشبين الكوم، وكلية التربية فرع جامعة الأزهر بالقاهرة.

تقديم بعض المؤلفات:

– ديوان ميسان للشاعر الكبير محمد إبراهيم الحريري رحمه الله.

–كتاب النجاح يبدأ من الصفر للأستاذ خالد الديهان وزملائه.

–ديوان من نجاوى شاعر النيل للشاعر الدكتور جمال مرسي.

–قام بمراجعة وترتيب المجلد الأول من الأعمال الكاملة للشاعر محمود غنيم، الذي صدر عن دار الغد العربي، ١٩٩٣م، ويشتمل على دواوينه الثلاثة: (صرخة في واد –في ظلال الثورة – رجع الصدى).

–أسهم مع الهيئة العامة للشباب والرياضة في دولة الكويت بكتابة الشعر الفصيح لبعض (الأوبريتات) الفنية:

–أوبريت: "حديث الأجيال" عام ٢٠٠٣م.

–أوبريت: "مذكرات وطن المجد" ٢٠٠٤م.

–أوبريت "خليج النور" ٢٠٠٩م.

–أوبريت: "قال الراوي" ٢٠١٢م.

–أوبريت: "كلنا كويتيين" ٢٠١٦م.

-"الملحمة المسرحية: "شروق الشمس" عام ٢٠١٨م؛ حيث كتب نصوصها الشعرية كلها.

-مراجعة وتدقيق الأوبريت المسرحي: "سدرة اللؤلؤ" ٢٠٢٣م.

- مراجعة وتدقيق الأوبريت المسرحي: "محيط الأرض" ٢٠٢٤م.

صدر له ديوانان من الشعر:

-أنين اغتراب

-أطباق شعرية (بالفصحى والعامية)

له تحت الطبع:

من الدراسات:

-موقف شوقي من الخلافة الإسلامية في شعره.

-حادثة دنشواي بين حافظ وشوقي

-قصيدة شباب الإسلام لهاشم الرفاعي: دراسة تحليلية.

-شواهد لبيد بن ربيعة عند النحاة.

-خطب الصديق (رضي الله عنه): دراسة أدبية

-يائية المتنبي:" كفى بك داء..." وبعض معارضاتها: دراسة وموازنة.

-البعد النغمي في الشعر المسرحي بين البحر الواحد، والأبحر المتعددة.

-أصوات من الشعر المعاصر: قراءة لنماذج مختارة.

-رؤية حول التقويم العلمي.

-من مظاهر عبقرية اللغة العربية.

بين صقر الشبيب وفهد العسكر: ائتلاف واختلاف

همزية صقر الشبيب في رثاء علامة الكويت (عبد الله خلف الدحيان): دراسة فنية تحليلية

-الحنين إلى القافية في الشعر التفعيلي.

-التفاتة إلى فن المقامة.

–القدس عربية

–داعش: رؤية لغوية

من الدواوين:

–عبق الأماكن

–وراء الراحلين: دموع بواكٍ

–أنغام منها وإليها

–ترانيم من الكوخ

–تحايا وهدايا

–على ضفاف المودة: بينهم وبيني

–لمصر الحبيبة

–ترانيم للكويت

–بين الناس (شعر عامي)

–قدم لأمسيات قناديل الفكر والأدب قراءات نقدية لمجموعة قصائد بعض من شاركوا من الشعراء والشواعر.

–يحاول كتابة الشعر منذ ما يقرب من نصف قرن، وقد بدأ رحلته مع الشعر يافعا؛ ببعض التجارب التي عززها حضور بعض المنتديات والأمسيات في مرحلة الدراسة الجامعية، وله محاولات بالشعر العامي إلى جانب كثرة كتاباته بالفصحى.

–نشر شعره في كثير من المنتديات على شبكة المعلومات الدولية؛ مثل: منتدى أبناء مصر، منتديات قناديل الفكر والأدب، منتديات رابطة الواحة الثقافية، منتديات واتا الحضارية، منتديات مرافيء الوجدان، منتديات عاطف الجندي، منتديات منابر ثقافية، ومواقع التواصل الاجتماعي كالفيس بوك والإنستجرام وتويتر.

-يعتز أيما اعتزاز بكونه خادما للغة العربية، وعاشقا للحرف العربي شعرا ونثرا ونقدا وفكرا، ويعد نفسه تلميذا مبتدئا في مدرسة الشعر، وطالب علم صغيرا في مجال القراءة والمعرفة.

-لديه اقتناع أن فن الشعر حين يعود لمكانته عند العرب قادر على توحيد صفوفهم وبث صدق التواصل بينهم؛ فالشعر من سمات العروبة أو هكذا لا بد أن يكون، ولا تدع العرب الشعر حتى تدع الإبل حنينها والوُرْق هديلها.

نص القصيدة[١]

محطةَ مصرَ، ضحايا القطارْ
إلى جنة الخلدِ، نعمَ القرارْ
قضَوْا، والنزيفُ بكاه الرصيفُ
ورُوِّعَ قبلَ الصغار الكبارْ
مضوْا شهداءَ، كأن السماءَ
دعتهم، فطاروا لخيرِ جِوارْ
وجرحى الحريقِ، أنينُ الطريقِ
عليهم سرى مترعًا بالأُوارْ
كأن اللظى شب في كل قلبٍ
وفي كل درب، وفي كل دارْ
ودمع الصباحِ، بكل النواحي
يذيب الضلوع بغير جؤارْ
لِألسنة اللهب المستبدِّ
شواظٌ يعاندُ كل انتظارْ
وخطو المنايا، خفيُّ الزوايا
كأنَّ قد ثوى في الحنايا دُوارْ
إذا كان ذلك إجرامَ باغٍ
يحركُه الغدرُ، والغدرُ عارْ
ففي مصرَ للأمنِ سيفٌ ودرعٌ

(١) نشرها الباحث على صفحته بالفيس بوك في ١/٣/ ٢٠١٩م.

يصدان بغيَ الغويِّ المسارْ
وإن كان إهمالَ مستهترٍ
فللعدلِ حكمٌ وضيءُ المنارْ
وبالرغم من كل حزن شجانا
نلاقي الردى برضا واصطبارْ
وتبقينَ يا مصر في حفظ ربٍّ
يحفكِ بالأمنِ ليلَ نهارْ

الدراسة

لعل مقولة المازني برد الله ثراه: "لا ينبغي أن ننظر إلى العيوب وإن كثرت دون الحسنات، ومن العنت أن نقول أساء الرجل في فعله دون أن ننظر إلى ما قد أجاد فيه ووفق إليه" كانت مدعاة إلى أن أقدم طرحا جديدا قبل ذلك الطرح الذي نشرته على صفحتي الشخصية في الفيس بوك.

فالقصيدة في البداية تحمل رسالةً إنسانيةً قويةً حول أهمية الحفاظ على الأرواح وضرورة تحمّل المسئولية في منع مثل هذه المآسي في المستقبل. كما تعكس إيمان الشاعر بالعدل الإلهي والقدر، وتدعو إلى الصبر والرضا في مواجهة المصائب. وغير خاف أن الشاعر بدأ بسرد الحدث الرئيس للقصيدة، وهو حادث القطار في محطة مصر، وهو يستخدم لغةً وصفيّةً قويةً لتقديم المشهد العام؛ حيث يصور المحطة مكانا تحوّل إلى مأتمٍ كبير، ثم ينتقل إلى وصف الضحايا بأنهم رحلوا إلى "جنة الخلد" وهنا يتحول السرد إلى سرد رمزي، حيث يصور الضحايا كشهداء انتقلوا إلى حياة أفضل، بما يحمله السرد من مشاعر مختلطة بين الحزن على الضحايا، والرضا بأنهم أصبحوا في مكان أفضل. ويصل السرد ذروته عند وصف الحريق والمعاناة التي خلفها، إذ اعتمد الشاعر على التكثيف العاطفي حين صور الألم الذي يشعر به الجميع، من الضحايا إلى أسرهم والمجتمع كافة. ولا يفوته رد الفعل وكيف أن الأمن في مصر لديه القدرة على مواجهة الشر، مما يعكس ثقة الشاعر في الدولة، لكننا نراه يلجأ إلى الخطابية الزاعقة، حيث يتساءل الشاعر عن سبب الحادث ويؤكد على ضرورة تحقيق العدالة:

إذا كان ذلك إجرامَ باغٍ
يحركُه الغدرُ، والغدرُ عارْ
ففي مصرَ للأمنِ سيفٌ ودرعٌ
يصدان بغيَ الغويِّ المسارْ

وإن كان إهمالَ مستهترٍ

فللعدلِ حكمٌ وضيءُ المنار

وربما كانت هذه الخطابية مما أوقعت الشاعر في التضمين العروضي[١] الذي يعده النقاد عيبا من عيوب القافية، والحق أن التضمين لا يعد عيبا إذا جاء عفويا غير متكلف أو مؤد إلى تعقيد لفظي، بل أراه دلالة على اتساع نفس الشاعر؛ حيث لا تكتئده الكلمات ولا العبارات، بل تجري على لسانه في مطاردة لا يستطيع ملاحقتها.

ثم يختم الشاعر سرده بدعاء لمصر أن تبقى في حفظ الله، وهو في هذا الختام السردي يعبر عن التفاؤل وأمله في استمرار الأمن والاستقرار.

ولم يفت شاعرنا أن يعول على التصوير وأن يقف على حجم المأساة كأنه يرى الحدث رأي العين، فيلجأ إلى كثير من ألوان التصوير، مثل "قضَوْا، والنزيفُ بكاه الرصيفُ" هنا يستخدم الشاعر تشبيهًا مجازيًا، حيث يجعل الرصيف (الجزء الجامد من المحطة) كائنًا حيًا يبكي على الضحايا. هذه الصورة تعكس حجم المأساة، حيث إن الجمادات تبدو وكأنها تشارك في الحزن. والكناية في "النزيف" تشير إلى الدماء التي سالت من الضحايا، مما يعزز الشعور بالخسارة الفادحة.

وفي قوله:

مضوْا شهداءَ، كأن السماءَ

دعتهم، فطاروا لخيرِ جِوارْ

(١) التضمين هو أن تتعلق قافية البيت أو لفظة مما قبلها بما بعدها دون أن تستقل بنفسها". ينظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ١/ ١٧١- ابن رشيق القيرواني – تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان ١٤٠١ هـ /١٩٨١م.

يستخدم تشبيهًا يجعل السماء كأنها كائن حي يدعو الضحايا للانضمام إليها، وهي صورة تعطي بعدًا روحانيًا للحادث، حيث يصور الشاعر الموت كرحلة إلى مكان أفضل (الجنة)، كما أن الاستعارة في "طاروا" تعطي إحساسًا بالخفة والسلام، وكأن الضحايا تحرروا من معاناة الدنيا.

وفي قوله:

وجرحى الحريقِ، أنينُ الطريقِ

عليهم سرى مترعًا بالأُوارْ

يشخص الطريق كأنه كائن حي يئن من الألم، هذه الصورة تعكس انتشار المعاناة، حيث إن الألم لم يقتصر على الضحايا فحسب، بل امتد ليشمل المكان نفسه، كذلك نراه يلح على جعل الصورة ممتدة حينما قال: "مترعًا بالأوار" ليشير إلى انتشار النار والألم في كل مكان.

وفي قوله:

كأن اللظى شب في كل قلبٍ

وفي كل درب، وفي كل دارْ

يستخدم تشبيهًا يجعل النار (اللظى) كأنها انتشرت في قلوب الناس وكل مكان. وهي صورة تعكس حجم المأساة التي شعر بها المصريون، حيث إن الحريق لم يكن ماديًا فحسب، بل ترك أثرًا نفسيًا عميقًا في الجميع. وقد أفاد التكرار في "كل قلب، كل درب، كل دار" تلك الشمولية.

وفي قوله:

ودمع الصباحِ، بكل النواحي

يذيب الضلوع بغير جؤارْ

يشخص الصباح كأنه يبكي بدموع تذيب الضلوع من شدة الحزن، فالصباح (الذي يُفترض أن يجلب الأمل) أصبح مصدرًا للحزن والهموم.

وفي قوله: لِألسنة اللهب المستبدِّ

شواظٌ يعاندُ كل انتظارْ

يجعل اللهب كأنه كائن مستبد لا يرحم، وهي صورة تعكس قسوة الحريق وعدم القدرة على السيطرة عليه. والاستعارة في "يعاند كل انتظار" تعطي إحساسًا باليأس من إنقاذ الضحايا

كما أن في قوله:

ففي مصرَ للأمنِ سيفٌ ودرعٌ

يصدان بغيَ الغويِّ المسارْ

تصويرا رائعا يجعل الأمن محاربا يحمل سيفًا ودرعًا للدفاع عن الوطن، وهي صورة تعكس قوة الدولة وقدرتها على مواجهة الشر.

وفي قوله: " فللعدلِ حكمٌ وضيءُ المنارْ " مجاز يجعل العدل كأنه منارة مضيئة تهدي إلى الحق، وهي صورة تعكس الأمل في تحقيق العدالة بعد المأساة، وإعطاء إحساس بالتفاؤل والثقة في المستقبل.

ومن ثم يمكننا القول إن الشاعر جعل قصيدته لوحة تصويرية لواقع المأساة مستعينا في ذلك بلغة سهلة مؤثرة .

لم يبق لي بعدئذٍ إلا أن أشير إلى أمرين:

أولهما: دراسة نشرتها على صفحتي في الفيس بوك [١]

هذه القصيدة دبجتها يراعة أستاذي العلامة القدير والناقد الضالع الأستاذ الدكتور حسان الشناوي في ذلك الحريق الهائل الذي شب في محطة مصر في الأسبوع المنصرم، وراح ضحيته شبان وشيب وأطفال رضع، وقد أفجع هذا الحريق كل من رآه عيانا عن كثب في موقع الحدث أو شاهده عن بعد من خلال

(١) تم نشر هذه الدراسة على صفحتي (فيس بوك) (محمود صبحي شاهين) (https://www.facebook.com/share/1EyVSmX5vW/) وذلك في يوم ١١ مارس ٢٠١٩م

شاشات التلفاز أو مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك)، وأستاذنا القدير الأستاذ الدكتور حسان واحد من الصنف الثاني الذي شاهد الحدث في غربته في دولة الكويت الشقيقة، فراح يتفجر أسى وحزنا وهو الشاعر المرهف الذي يجري الشعر على لسانه في طواعية دون تعسف أو اقتسار، كما تجري الأشعار على أسلة قلمه كأنها الوشي المرقوم، ولا شك أن هذا طبع متأصل فيه لحمة وسدى، فإذا ما أضيف إلى كل ذلك تلك القراءات المستوعبة عن الشعر والنقد والموسيقى ، تلك الدراسات التي نال بها الرجل درجة الدكتورية عن جدارة واستحقاق ثم عمل بها في مجال الدرس اللغوي والأدبي والنقدي والموسيقي، كل ذلك وما إليه يضعنا أمام شاعر مثقف دارس يملك الأدوات فضلا عن الطاقات والملكات، ولكن كالعادة قد يلقي الشاعر قصيدته وينام قرير العين وتبيت قصيدته حينئذ مجالا للأخذ والرد والخصومة أحيانا، انطلاقا مما قاله أبو الطيب المتنبي : [١]

أنام ملء جوني عن شواردها * ويسهر الخلق جراها ويختصم.

ولا أجانف الحقيقة هنا إذا قلت إن هذا السهر من قبل النقاد لا يكون إزاء قصيدة متهرئة ارتدت كفنها قبل أن ترى بصيص نور.

وانطلاقا من هذا دائما أقرأ القصيدة بقلبي ... بوجداني ... بإحساسي، بكل شيء (جواني) فإذا لامست المنطقة الدافئة من قلبي كانت هي وإلا فإن ثمة خواطر لا أقول نقدات تنبثق من الذهن لتروم للقصيدة شيئا أقوم قيلا، والحقيقة أنني دائما أقرأ ما تدبجه يراعة أستاذنا الكبير والشاعر النابه الخنذيذ والناقد الضالع الأستاذ الدكتور حسان الشناوي وما ترسمه ليقته عبر صفحته (فيس بوك) من أشعار حِسان وفرائد جمان، لا تصدر إلا عن حَسَّان، وهو يتفق معي جملة وتفصيلا في أن شعر الشاعر لا يجري على وتيرة واحدة بل نراه يتفاوت

(١) ديوان المتنبي ٨٣/٤، وضعه/ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

فنيا بين الفينة والأخرى تبعا للحالة التي يمر بها الشاعر أو المزاج الرجراج الذي يعتريه، وحينما أقرأ قصيدة لأستاذنا تدهشني عباراته، وتأسرني أحرفه المموسقة المنغومة فأصارحه بهذا، وأحيانا أقف أمام القصيدة فلا أتحرك ولا أتورك، فحينئذ أبدي بعض ما لعله كرب القصيدة أو اعتورها – من وجهة نظري– قد يتفق معي آخر أو يختلف ، ولكن:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم*

لا يستوون كما لا يستوي الشجر.

هذا له ثمر حلو مذاقته ...

وذاك ليس له طعم ولا ثمر(١)

وقصيدة أستاذنا الأستاذ الدكتور حسان واحدة من تلك القصائد التي تنساب فيها الموسيقى انسياب الكهرباء في الأسلاك، فجاءت معزوفة على تفاعيل بحر المتقارب ذي الضرب المقصور، والذي جاءت فيه العروض مصرعة لموافقة الضرب ، فمثل هذا مما يجذب الانتباه ويلفت النظر ويأسر المتلقي ، هذا بالإضافة إلى ما كثف الموسيقى في القصيدة من سجع مثل

(١) البيتان لشاعر من شعراء مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، يسمى المؤمل بن أميل المحاربي، في: لباب الآداب ١٨١، الثعالبي، حرره وحققه/ أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م. والبيان خلا منهما شعره الذي جمعه وحققه د/ حنا جيل حداد في مجلة المورد العراقية، العدد الأول، فبراير ١٩٨٨م. (ينظر: من شعراء الكوفة: المؤمل بن أميل المحاربي حياته وما تبقى من شعره).

وللمزيد ينظر أطروحتي للدكتوراه (الصنعة الفنية في شعر مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية) بكلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية ٢٠١٢م.

(النزيف/ الرصيف)و (الحريق/ الطريق) و(قلب/درب) و(الصباح/ النواحي)، مع ما في البيت الخامس من حسن تقسيم في قوله:

كأن اللظى شب في كل قلبٍ

* وفي كل درب، وفي كل دار

مع ما تخلل القصيدة من طباق في قوله البيت الثاني: (الصغار/ الكبار) والبيت الاخير: (ليل / نهار)

ومن ثم فإن القصيدة قد أترعت جرسا وموسيقى، وليس هذا بمستغرب على أستاذنا الدكتور حسان وهو في هذا الجانب وغيره ابن بجدته، لكن جاءت القصيدة تحمل في وجهة نظري ما لعله كربها أو أطبق عليها من غيم فوارى بعض ألقها، مثل بناء القصيدة على القافية الرائية المقيدة، وكان بوسع أستاذنا أن يتخير قافية مطلقة دون هذه المقيدة التي أحيانا تكبل القارئ عن الاستمتاع بموسيقية القصيدة ولو أنه طالع النماذج الفريدة في هذا الشعر المخصوص بالحرائق وكنت متخصصا فيه في درجة الماجستير[١] ، مثل قصيدة أبي تمام في حريق الأفشين [٢] ، وبائيته في فتح عمورية والتي تحدث فيها عن الحريق الهائل الذي طالها[٣] ، ورائية الخريمي في حريق بغداد[٤] ، وميمية ابن الرومي في

(١) للمزيد تراجع في ذلك أطروحتي للماجستير : شعر الحرائق التاريخية الكبرى في العصر العباسي دراسة أدبية ونقدية.

(٢) ديوان أبي تمام ٢/ ١٩٨ وما بعدها ، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق/ محمد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.

(٣) ذاته ١/ ٤٠ وما بعدها.

(٤) ديوان الخريمي (أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي) ٣١ وما بعدها، جمع وتحقيق/ على جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد – منشورات دار الكتاب الجديد بيروت – لبنان١ ١٩٧ م.

حريق البصرة[1] لوقف على ما يعزز وجهة نظري من أن اختيار القوافي المطلقة قد يكون أكثر جدا وتجاوبا من تلك القافية المقيدة التي ترسف في أغلال الرتابة، وتقف حجر عثرة وتحد من انسيابية القصيدة، هذا أمر، أما الأمر الثاني فيتعلق بوضع علامات الترقيم في القصيدة، وخاصة الفاصلة، حينها أشعر أن أستاذي يقيدني بقراءة جملة لا قراءة بيت من الشعر، ولا أرى غضاضة أي غضاضة في أن الشعر يعانق بعضه بعضا حتى لو افتقر إلى المعنى المرتبط به في البيت الذي يليه، مما تواطأ النقاد على تسميته تضمينا معيبا، ولعمري إنهم لو أنصفوا ما عدوه عيبا، ولرأوه دلالة على طول نفس الشاعر، وأنه لا يستطيع أن يلاحق الكلمات التي تسخو بها شاعريته، ثم إنه استوقفتني بعض التعبيرات التي لا أجد نفسي إزاءها مسرورا وظننت أن لن أحور إليها بعد مواصلة القراءة فإذا بها تكبلني وتقف غصة في حلقي من مثل قول أستاذي في البيت الرابع .....مترعا بالأوار، وفي البيت السابع اللهب المستبد، لا شك أن أستاذنا يقصد باستبداد اللهب طغيانه وعدم القدرة إخماده والتفلت منه، لكن كان بوسعه أن يتخير كلمات أخرى يوظفها بموسيقيته البارعة مثل اللهب الضليل أو الدامي أو المفعم أو المستعر.، كما أنه لو جعل كلمة (جوار) محلاة بالألف واللام في البيت الثالث لكانت القفزة النغمية إليها أحلى وبالمزية أولى علما بأن ذلك لا يغير شيئا في الوزن ،،، كل ما هنالك أن التفعيلة قبل الأخيرة من البيت تكون صحيحة لا مقبوضة، وحتى يكون هناك توافق نغمي بين كلمة الجوار وبين الكلمتين اللتين وردتا في أواخر البيتين الأول والثاني (القرار، الكبار).

(١) ديوان ابن الرومي ٦/ ٢٣٧٧ وما بعدها، تحقيق د/ حسين نصار – طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

لكن يبقى لأستاذي أن يعذرني على ما تجاسرت ، وليعلم الله أن هذا الكلام ربما يكون فرقعات في الهواء لأشرف بالحديث معه، بمعنى أني أعدها تلكيكا حتى يرن صوته في أذني، ويبقى دائما لنا الشارة والمنارة أو صوى على طريق المعرفة والنقد،،، أستاذي الكريم تقبل تحيات تلميذ لا يزال طري العود لم يعجم، لكنه يحب أستاذه (حسانا) مصروفا، و(حسان) ممنوعا من الصرف.

ثانيهما: تعليق أستاذنا الدكتور حسان على ما نشرته حول قصيدته، فقال: "أكتفي هنا بأن تكون دراسة الابن العزيز الحبيب، العلامة الناقد البصير، الأديب المبدع القدير، أبي أحمد؛ أ.د. محمود صبحي شاهين قبل أبيات العبد الفقير؛ عائدا بحول الله إلى الإفادة منها بما يفتح الله تعالى، في إطار أن" العلم رحم بين أهله"، وضوء ما توارثناه من أجدادنا الأكارم: " بارك الله أولادنا؛ نتعلم منهم كما يتعلمون منا"، ولئن كنت شرفت بالدراسة مع أبي جنى، أ.د. محمود منذ أكثر من عشرين عاما – ولا أقول درستُه ولا درستُ له –؛ فكم تعلمتُ – ولا زلت، وسأظل ما ترددت في الصدر أنفاس الحياة أتعلم – منه ما أرجو من الله التوفيق في محاولة رصده؛ فرحةَ والد بابنه، وانخراطا في سلك طلب العلم الذي عبر عنه العلامة المحقق، أحد أكبر علماء الحديث في العصر الحديث؛ شيخنا الجليل أحمد محمد شاكر(طيب الله ثراه) بقوله: " كلنا طالب علم، وكلنا رائد حقيقة."

وتلك معان تنبثق من مشكاة النبوة في بيانه الساطع (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم)؛ فقد قال ابن المبارك وابن حنبل وغيرهما من أهل الحديث: " لا يزال المرء عالما ما طلب العلم، فإذا ظن أنه قد علم؛ فقد جهل."؛ وفي هديه (صلوت الله وسلاماته عليه) الكثير؛ أقتطف منه هذه الباقات العبقة، والطاقات الألقة:

عن سعيد بن جُبَير – رضي الله عنه، قال: قلتُ لابن عباس – رضي الله عنهما –: إن نوفًا البكاليَّ يزعُمُ أن موسى – عليه السلام – صاحب بني إسرائيل ليس هو صاحب الخضِر عليه السلام، فقال: كذَب عدوُّ الله، سمعتُ

أُبيَّ بن كعب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (قام موسى عليه السلام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئل: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا أعلم، قال: فعتَب اللهُ عليه إذ لم يرُدَّ العلم إليه، فأوحى الله إليه: أن عبدًا من عبادي بمَجْمَعِ البحرين هو أعلم منك، قال موسى: أي ربِّ، كيف لي به؟). رواه البخاري ومسلم.

عن جابرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (سلُوا الله علمًا نافعًا، وتعوَّذوا بالله من علمٍ لا ينفع) أخرجه ابن ماجة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان مِن دعاء النبي صلى الله عليه وسلم:

(اللهم إني أعوذ بك مِن قلبٍ لا يخشع، ومن دعاءٍ لا يُسمَع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن علمٍ لا ينفع، أعوذ بك مِن هؤلاء الأربع).

الخاتمة

- وبعد التعريج على القصيدة وصاحبها يمكننا القول إننا إزاء قصيدة تحركت لها مشاعر الشاعر، وقد أجاد فيها – رغم ما اعتورها– إجادة فنية لغة وتصويرا، مكثفا التصوير الفني حتى كأنه يشاهد الحدث عيانا وهو في غربته في دولة الكويت، معولا على فاعلية التشخيص الذي يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية. هذا بالإضافة إلى لغة مؤثرة تتسم أحيانا في بعض أجزاء النص بالهدوء والاتزان، وأحيانا تجنح نحو الخطابية الزاعقة.
- أضحت الكتابات الإبداعية المنشورة على منصات التواصل الاجتماعي وخاصة الفيس بوك اليوم جزءا من الحركة الأدبية والنقدية، وبخاصة بين كثير من المبدعين الذين أصبح الفيسبوك متنفسهم للنشر، في ظل صعوبة النشر الورقي . فقد أصبح بإمكان كل «صاحب حساب» على الفيس أن ينشر ما يريد نشره في أي وقت وبمساحة كبيرة من الحرية دون أي محاذير أو عقبات كأداء تحول دون ذلك، هذا إلى جانب الاستجابة السريعة من القراء التي تسم أدب الفيس بوك بأنه أدب تفاعلي

يعد الفيس بوك وسيلة محايدة شأنه في ذلك شأن كل ما تتيحه التكنولوجيا الحديثة، يمكن استخدامه استخداما حسنا أو على النقيض من ذلك، لكن تظل القيمة الحقيقية للأدب الهادف الخالد، مرتبطة بهذا الأدب نفسه، وليس بالوسيط الذى نشر من خلاله.

- لا يمكننا بأي حال من الأحوال أن نرضى عن كثير من الكتابات المنشورة على الفيس بوك، فلا شك أن المنصة ينشر عليها الغث والسمين من المتخصصين وغير المتحصصين، مما يجعل المنصة أحيانا تعج بأخطاء لغوية (نحوية وصرفية) فادحة، مما لا يرتضيه أصحاب الذائقة اللغوية الصحيحة.

المصادر والمراجع

(١) صفحة فيس بوك حسان محمد الشناوي (د. حسان الشناوي)
/https://www.facebook.com/share/18cq8W1GDD

(٢) صفحة فيس بوك (محمود صبحي شاهين)
(/https://www.facebook.com/share/1EyVSmX5vW)

(٣) ديوان ابن الرومي، تحقيق د/ حسين نصار – طبع: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

(٤) ديوان أبي تمام، شرح الخطيب التبريزي، تحقيق/ محمد عبده عزام، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر.

(٥) ديوان الخريمي، جمع وتحقيق/ على جواد الطاهر، ومحمد جبار المعيبد – منشورات دار الكتاب الجديد بيروت – لبنان ١٩٧١م.

(٦) ديوان المتنبي، وضعه/ عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني – تحقيق/ محمد محيي الدين عبد الحميد – الطبعة الخامسة – دار الجيل للنشر والتوزيع والطباعة بيروت لبنان ١٤٠١ هـ /١٩٨١م.

(٨) لباب الآداب، الثعالبي، حرره وحققه/ أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

روابط ذات صلة:

(https://www.bbc.com/arabic/tv-and-radio-40034235)

- **المجلات العلمية:**

مجلة المورد العراقية، العدد الأول، فبراير ١٩٨٨م.

(من شعراء الكوفة: المؤمل بن أميل المحاربي حياته وما تبقى من شعره)، جمع وتحقيق د/ حنا جيل حداد.

- **الرسائل العلمية:**

(١)شعر الحرائق التاريخية الكبرى في العصر العباسي دراسة أدبية ونقدية، محمود صبحي شاهين، رسالة ماجستير مخطوطة، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية ٢٠٠٦م.

(٢)الصنعة الفنية في شعر مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية) محمود صبحي شاهين، رسالة دكتوراه مخطوطة، كلية اللغة العربية جامعة الأزهر فرع المنوفية ٢٠١٢م.